

الحلقة التاسعة والستون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هو انطباعتك مستمعي عن رجال الدين؟ هل ترى أنهم نموذج صالح للمبادئ الدينية؟ وهل يعكسون حقاً هذه المبادئ في سلوكهم وحياتهم؟ أم أن الكثيرين منهم يتكلمون عن القيم الدينية الصالحة، ولكنهم في الواقع لا يسلكون بموجبها؟ أو ليست هذه المشكلة موجودة في كل مجتمع وعلى مرّ العصور؟

لم يكن الوضع مختلفاً في أيام المخلص المسيح، فقد كانت هناك فرق دينية يهودية متعددة، وكان هناك رجال دين يدعون التدين والتمسك بالشرعية الإلهية. وكان على رأس هؤلاء فرقة الفريسيين المتمتعة، الذين كانوا يحرصون على الادعاء أنهم يطبقون الشريعة الإلهية، مع أنهم كانوا بعيدين جداً عن جوهرها.

ولقد اعتبر هؤلاء الفريسيون القوانين الإضافية التي وضعوها مساوية تماماً لشرعية الله. وطلبوا من الناس أن يلتزموا بها، بينما هم بعيدون عنها. وكانوا يحاولون دائماً أن يُظهروا أنفسهم، أنهم يطبقون الشريعة الإلهية، لكن ليس إكراماً لله أو إطاعة له، بل للافتخار أمام الآخرين، ولهذا نستطيع وصفهم بالمرائيين. إن المرئي هو من يظهر على غير حقيقته، فهو كالممثل البار الذي يستطيع أن يمثل دوره بكل اتقان. ولهذا كان لا بدّ للمخلص المسيح أن يكشف حقيقة نفوسهم وأن يفضحهم أمام الناس. ولقد خصّص البشير متى إصحاحاً كاملاً لحديث المسيح عن هؤلاء الفريسيين، سنأتي الآن على ذكر بعض منه فابقوا معنا.

نقرأ في بشارة متى ما يلي: «حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلَامِيذَهُ قَائِلاً: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَأَفْعَلُوهُ، وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ. فَإِنَّهُمْ يَحْرِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضْعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِأَصْبِعِهِمْ» (بشارة متى ٢٣: ١-٤).

لقد نصب هؤلاء الفريسيون والكتبة أنفسهم، وجلسوا على كرسي موسى أي في مركز إصدار الأوامر. لكن لنلاحظ طلب المسيح من تلاميذه والجمع أن يحفظوا ويفعلوا ما يقوله هؤلاء لهم، **ولكن حسب أعمالهم لا يعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون.** فهم يحملون الناس شرائع ثقيلة، ولا يريدون حتى أن يحركوها بإصبعهم. ولكي يوضح تابع المسيح شارحاً كلامه قائلاً: **«وكُلَّ أعمالهم يعملونها لكي تنظروهم الناس: فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكاً الأول في الولايم، والمجالس الأولى في المجامع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس: سيدي سيدي!»** (بشارة متى ٢٣: ٥-٧).

وهذه بالضبط صفة الإنسان المرائي الذي يهتم بالمظاهر أمام الناس، فهو يعرض عصائبه حول راسه، ويعظم أهداب ثوبه، ليُري الناس مدى تمسكه بالشرعية التي يجب أن تكون مكتوبة وملصقة بثيابه. ويجب أن يكون الأول في الولايم والمجالس، وأن يحييه الناس في الأسواق داعين إياه سيدي سيدي. وكأن التدين هو مجرد مظاهر فقط وليس سلوكاً عملياً وتطبيقاً للمبادئ الدينية التي يتشدد بها الإنسان.

وهنا بدأ المخلص المسيح بكلمات الويل عليهم: **«لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون! لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون! لأنكم تأكلون بيوت الأرمال، وليلة تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم»** (بشارة متى ٢٣: ١٣-١٤).

إن هؤلاء الفريسيين بسبب وصاياهم الثقيلة على الناس، يغلقون ملكوت السموات أمامهم، فلا هم أي الفريسيون يدخلون، ولا يجعلون الراغبين أن يدخلوا. ويا ليت الأمر اقتصر على ذلك، إذ هم يرتكبون جرماً واضحاً، فيأكلون بيوت الأرمال. أي يسلبون الأموال المخصصة للنساء الأرمال والعائلات الفقيرة لمنفعتهم الشخصية. ويحاولون قدر الإمكان إطالة صلواتهم أمام الناس، ليُظهروا مدى تدينهم، لكن المسيح قال: أنهم لهذا السبب ستقع عليهم دينونة أعظم.

مستمعي الكريم، ثم تابع المخلص المسيح وبلاته قائلاً: **ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون! لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون، وتركنكم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان! الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل»** (بشارة متى ٢٣: ٢٣ - ٢٤).

لقد كان أولئك الفريسيون حريصين جداً على إعطاء العشر من خيراتهم، النعنع والشبث والكمون، كما طلبت الشريعة. لكنهم في نفس الوقت كانوا يهملون في معاملاتهم مع الآخرين: أهم ما في الناموس أو الشريعة ألا وهو: الحق أي العدل والرحمة والإيمان. فلم يكن يوجد عندهم لا عدل ولا رحمة ولا إيمان. بينما كان من المفروض بهم أن يعشّروا خيراتهم، وفي نفس الوقت يعملون بفحوى الشريعة الأساسي وهو السلوك بالحق (العدل) والرحمة والإيمان. ولهذا قال عنهم المسيح أنهم قادة عميان، يصفون عن البعوضة، أي يهتمون بتصفية البعوضة الصغيرة من كأس الماء، بينما يبلعون الجمل الكبير الذي هو أساس الشريعة.

حقاً إنها لمأساة أن ينحدر رجال الدين إلى هذا المستوى المنخفض من السلوك العملي. لكن أليس هذا ما نلاحظه حتى في أيامنا هذه؟ فكم من رجل دين يدّعي التدين حسب الظاهر، لكنه في الحقيقة يخالف شريعة الله ويمارس أقبح الشرور. أو ليس جوهر الدين هو في العدل والانصاف والرحمة على الفقراء والإيمان الصادر من القلب؟ لكن هل وجود أمثال هؤلاء الناس ينفي حقيقة وجود تدين حقيقي؟ بالطبع كلا. إن التدين الحقيقي يكون من القلب من الداخل كما تقول كلمة الله، وليس بالجسد حسب الظاهر. ولهذا علينا أن نطلب من الله أن يجدد قلوبنا من الداخل، وهكذا يغدو تديننا تديناً حقيقياً من القلب وليس حسب الظاهر وأمام الناس فقط.

نرجو مستمعي أن تأتي إلى الله تائباً عن خطاياك، ومؤمناً بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب للتكفير عنها، وهكذا تتال منه الغفران الكامل. وعندها يغيّر الله قلبك من الداخل، إذ يحل فيك قلباً نقياً جديداً، يسعى لكي يسلك في طريق العدل والرحمة والصلاح بالحق والفعل. مع العلم أننا سنتابع الحديث عن هذا الموضوع الهام في الحلقة القادمة.